الأمير عبد القـــادر
وتحرير الجزائر

لمناسبة مضى ٦٥ سنة على وفاته

(مهداة إلى الأمير سعيد الجزائري)

للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد

المدره الأفيق[1] كبير زعماء الجزائر ، وموحد اتجاهها السياسي ، ومؤلف شتاتها ، الأمير العظيم ، العالم الشاعر الباسل عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني .

ولد بوهران سنة ١٢٢٣ هـ في مهد العلم والتقوى ، وتلقى علوم الشريعة والأدب والتاريخ والحكمة العقلية وغيرها ، حتى حذقها ، وتوفر على الثاقفة بالسلاح وركوب الخيل ، فجمع بين السيف والقلم ، واشتهر بالذكاء والفصاحة والطلاقة وسمو الفكر وقوة البدن وشدة البأس والإقدام وصلابة الرأي فيما يزمع والإخلاص وقوة الإيمان .

فعلقت به القلوب واتجهت إليه الأنظار ، كل ذلك مع ما كان لأبيه وأجداده من المكانة الرفيعة في البلاد .

رحل إلى المشرق حوالي سنة ١٢٤١ مع والده وجماعة من أهله وحاشيته بقصد الحج ، فمروا بمصر فأنزلهم محمد علي باشا منزلا كريماً ، ثم حجوا وزاروا المدينة المنورة والشام وبغداد ، فازداد عبد القادر بهذه الرحلة التي استغرقت أكثر من سنتين رسوخاً في العالم وخبرة بالسياسة .

وفي أواخر عام ١٨٣٠ م احتلت فرنسة عاصمة الجزائر ، وأخذت تفكر في الاستيلاء على سائر القطر الجزائري ، فبدأت الحرب بين أهل الجزائر والفرنسيين ، واقتحم أهل وهران الحرب بقيادة السيد محيي الدين ، فبدا في هذا القتال من بسالة عبد القادر ومواهبه الحربية وأصالة رأيه وثورة نفسه الإسلامية الحرة وإخلاصه لقضية أمته وبلاده وقوة إيمانه بصدق جهاده ما عقد به أماني الناس .

ولما أراد أهالي تلك البلاد مبايعة السيد محيي الدين أميراً عليهم اعتذر بعلو سنه ، فبايعوا ولده عبد القادر عام ١٨٣٢ م فاتخذ مدينة المعسكر عاصمة ، ولم شعث القبائل ، وجمع الأمة كلها على معنى واحد لا يتغير ، ودفعها بروح دينية واحدة لا تختلف ، وجعل عرق الجهاد يفور كما يفور العرق المجروح بالدم ، وبث صولة الحياة في الشعب كله ، ورتب جنده وكان يتقدم جيشه ببسالة عجيبة ، وكأن بينه وبين أرواح جنده نسباً شابكا ، فله معنى أبوة الأب في أبنائه لا يراه من يراه منهم إلا أحس أنه شخصه الأكبر ، فكانت فيه التكملة الإنسانية لجنده ، وكأنه خلق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع ، وأن القوى الشديدة تعمل كالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها ، فالأمير قد عدى جنده بقوة شجاعته العجيبة .

ومن نظمه :

تسائلني أم البنين وإنها ... لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألا فاسألي جنس الفرنسيس تعلمي ... بأن منايام بسيفي وعسالي
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي ... وبي يحتمي جيشي وتمنع أبطالي

واستمر في الحرب حتى دانت له كل عمالة وهران تقريباً بعد محاصرته للجنرال بويه وجيشه . ثم تولى قيادة الجيش الفرنسي الجنرال ديميشيل ، فكانت بينه وبين الأمير معارك انتهت بعقد المعاهدة المشهورة (بمعاهدة ديميشيل عام ١٨٣٤) التي اعترفت بها فرنسة للأمير بجميع العمالة الوهرانية عدا مدينة وهران وآرزاو ومستغانم ، وكان له الحق بموجب هذه المعاهدة أن يعين قناصل في وهران والجزائر ومستغانم وغيرها ، وأن يستورد الأسلحة من أي جهة شاء ؛ فعظم شأن الأمير وامتد سلطانه وصار الأمير الشرعي لجميع أهالي الجهات الغربية من المغرب الأوسط . ثم مد رواق ملكه على البلاد التي لم تكن داخلة في حدوده مثل ميدية وملیانة ، وأقام فيها معامل للأسلحة ، مع احتجاج حاكم الجزائر العام .

---

(١) المدره كمبر : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، والأفيق البالغ النهاية في الكرم أو في العلم أو في الفصاحة وجميع الفضائل .

وفي غضون ذلك ثار على الأمير قبيلتا الدوائر والزمالة وانضمتا إلى فرنسة ، فطلب الأمير تسليم رؤسائهم إليه فأبى الجنرال تريزيل ، فبرز عبد القادر إلى القتال فانتصر على الفرنسيين في (يوم المقطع) في ٢٦ يولية ١٨٣٥ فأرسلت فرنسة جيشاً كثيفاً بقيادة المارشال كلوزل فاستولى على عاصمته (المسكر) وناوشه من ورائه بقية من الأتراك كانوا في قلعة تلمسان ، وبعثت فرنسة الجنرال بوجو لإغاثة الجنرال دارلنج الذي حصره الأمير ، فانهزم عبد القادر ولكنه بقي ثابت العزم ، واستطاع بدهائه السياسي عقد صلح مع الفرنسيين على شروط ضمنت له أكثر مما ضمنته معاهدة ديميشيل ، وذلك في (معاهدة التفنة) في ٣٠ مارس ١٨٣٧ التي اعترفت فرنسة له فيها بجميع عمالة وهران وقسم كبير من عمالة الجزائر .

وشرع بعد ذلك يقوي سلطته على البلاد التي أدخلت حديثاً تحت حكمه ، وأخضع عرب الأزارقة ، وأنشأ معامل للأسلحة والعدد الحربية وملابس الجند في تلمسان ولاغوات وميجانة وزيبان ، وبنى حصوناً لخزائن بيت المال ، وأقام على كل حصن بلدة ، منها تاقدت وتازة وسعيدة وبوغار وعريب وسبدو وغيرها

ثم رتب جيشاً منظماً على نمط جيوش الدول ، وقسمه إلى فرسان ومشاة سماهم المسكر المحمدي ، ومدفعية وسماهم الرماة ، واختار لتدريبه ضباطاً من الجيش التونسي ومن الجند التركي الذي بطرابلس ومن الفارين من الجيش الفرنسي ، ووضع لهذا الجيش قانوناً لأكله وملبسه ورواتبه ومدة التعليم وشروط الترقي فيه ومنح الأوسمة ، ونظام المرابطة والحرب ، وضرب نقوداً سماها المحمدية ، وعني بشؤون الزراعة والتجارة والتعليم ، وأقام دهاليز لادخار الحبوب وأنابير للاقوات ورمم القلاع ، ولم يهمل شيئاً مما يجب لتأسيس الحكومات الشرعية . ولم تكن همته زمن السلم أضعف منها إبان الحرب .

ولما كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع الأقطار التي تود الاستيلاء عليها هي في الغالب منازل استجمام بين مراحل الحرب فقد تعللت فرنسة في تفسير بعض فقرات (معاهدة التفنة) وأرادت التخلص منها بعد أن أعدت العدد وعززت الجيش ، مع أن الأمير كان يعمل بها ، فاستؤنف القتال بينهما فزحف المارشال فالي والدوق دومال ، فنادى الأمير بالجهاد في ٢٠ نوفمبر ١٨٣٩ فاستمرت الحرب من هذا التاريخ إلى عام ١٨٤٣ بلا انقطاع وقام فيها الأمير مقامه المحمود الذي طار ذكره في الآفاق ، وأثبت فيه عبد القادر للدنيا كلها أن الجزائر الجبارة متى شاءت بنت الرجال من أمثاله في العظمة والشهرة والمنزلة والقوة .

وعدم تكافؤ القوتين المتقابلتين سبب سقوط أكثر حصون الأمير واحتلال العدو أكثر معاقله ومدنه مثل تاغدت والمسكر وتازة ووادي الشليف ، فتحول إلى الغرب ، فزحف العدو إلى تلمسان ونواحي ندرومة واحتلها ، فقصد الأمير إلى الجنوب فباغته الدوق دومال وغنم كثيراً من عتاده ، ففت هذا الحادث في عضده وخذله أكثر أعوانه ففر إلى المغرب ، وسعى لحمل سلطان المغرب الأقصى على شد أزره فأمده بجيش فكانت بينه وبين الجيش الفرنسي (واقعة إيسلي) في ١٢ أغسطس ١٨٤٤ .

ولما كان المغاربة بعوزهم من أدوات القتال ما يملكه الفرنسيون انتصر الجنرال بوجو على الجيش المغربي ، وكانت بوارج فرنسة ضربت طنجة ومغادور ، فاضطر سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام إلى عقد الصلح بالشروط التي تريدها فرنسة وأولها منع الأمير عبد القادر من تجاوز حدود الجزائر ، فلبث زهاء سنتين متربصاً غرة من العدو ينتهزها ، فلما بدت له في ثورة عام ١٨٤٦ انقض على بلاد الجزائر ثانية وأمعن في الغارة حتى بلغ بلاد البربر ، واستأنف الأمر كما بدأ ، إلا أن قوته كانت قد تناقصت ، وقدم الفرنسيين قد رسخت في الجزائر فلم تستمر غارته ، وأحاطت به الجيوش من كل ناحية ، فرجع إلى الحدود المراكشية ، فطلبت فرنسة من سلطان المغرب تسليمه وما زالت تلح في ذلك حتى ناصرهم وساق عليه قوة عظيمة دهمته فإذا هو بين نارين ، فاشتد به الغضب ، فاشترط شروطا للاستسلام رضي بها الفرنسيون ، وسلم نفسه على يد الجنرال لاموريسيال في ديسمبر ١٨٤٧ واتفقوا على أن يسافر بأسرته من الجزائر إلى الأسكندرية أو عكا ، ولكن فرنسة أخذته إلى طولون ثم إلى إنبواز وأنزلته في قصرها معتقلا إلى عام ١٨٥٢ إذ بشره لويس نابليون بنفسه بإخلاء سبيله في يوم اهتزت له باريس احتفالا بمقدم الأمير .

أجل لم ينتصر البطل بعد جهاد ١٥ سنة جهاداً عزيز المثال في تاريخ الأبطال ، ولكن الأمم احتفت به لأنه يمثل كمالا من نوع آخر هو سر الانتصار .

ثم سافر الأمير إلى الآستانة وزار السلطان عبد المجيد ، ثم

أقام ببرصا ، وفى سنة ١٨٥٥ هاجر إلى دمشق ، ومر ببيروت فقام واليها وامق باشا بالحفاوة به . ثم بجبل لبنان فاحتفل به مشايخ الجبل وأمراؤه . فلما أشرف على دمشق خفت المدينة إلى استقبال مدره الإسلام ، وتقدم الجمع محمود نديم باشا والى دمشق ، وعزت باشا رئيس العسكرية ، والعلماء والأعيان ، ثم دخلوا المدينة تتقدمهم الجنود بموسيقاها ، ونزل ضيفاً بدار عزت باشا ، إلى أن اختاروا له دار القباقيبى التى كانت مقر الحكومة لخط رحله فيها .

وقضى بقية حياته بدمشق فى مثافنة العلماء ، والتحقيق العلمى ولا سيما التصوف . ومن أمتع آثاره العلمية المطبوعة (كتاب المواقف) الذى يدل على رسوخه فى التصوف علماً وعملا ، و(ذكرى العاقل) فى الحكمة والشريعة و (ديوان شعره)

وقد صرح مؤرخو الفرنج أن مملكته العلمية والدينية كانتا من أكبر أعوانه على تأسيس الحكومة التى أسسها ، وأنه كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه بالسنان .

وقال الماريشال سوليت الفرنسى فى سنة ١٨٤٠ (لا يوجد الآن أحد فى العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة رجال كلهم مسلمون وهم : الأمير عبد القادر ، ومحمد على باشا ، والشيخ شامل) .

ولما وقعت بدمشق حادثة سنة ١٨٦٠ عنى الأمير عبد القادر بحماية المسيحيين وإنقاذهم ورد العوادى عنهم ، فأخلى لهم دوره والدور المجاورة لها حتى هدأت الفتنة ، فأجمعت صحف العالم على حمده وشكره ، واستحق بهذا الصنيع ثناء الجميع ، فأرسل إليه الخليفة السلطان عبد المجيد وفرنسة وأمريكا وأكثر الدول الأوربية أوسمة وقيمة مع رسائل الشكر والحمد .

وفى عام ١٨٦٣ حج ثانية ودعاه الخديو اسماعيل باشا فيمن دعا من أعيان العالم وملوكه وأمرائه لحضور الاحتفال بفتح قنال السويس .

وما زال مثالا للبر والإحسان والتقوى والأخلاق الكريمة يتهجد الليل ويمارس فى رمضان رياضة الخلوة على طريقة الصوفية ، إلى أن قبض رضى الله عنه سنة ١٣٠٠ هـ ودفن إلى جانب ضريح الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى بصالحية دمشق .

وذاع نعيه فى الآفاق وأسف عليه الملوك والأمراء ومن عرفه من الخاصة والعامة ، ورثاه الكتاب والشعراء ، وأبنه العلماء والأدباء .

هذا موجز من سيرة الأمير الكبير ، وتاريخ حياته وأخبار نضاله مع الفرنسيين مبسوطة فى كثير من كتب المسلمين والفرنج . وللعالم الجليل السيد أحمد أخى الأمير تاريخ مفصل لحياة أخيه لم يطبع بعد ، فيه حقائق لا توجد فى « تحفة الزائر » وأذكر بهذه المناسبة أن الشيخ شهاب الدين محموداً قال : عدت قاضى القضاة ابن خلكان فأنشدنى لبعض أهل الأدب شعراً فى نقيب الأشراف بالمدائن خلب عقلى ، وهو هذا :

قد قلت للرجل المولى غسله	هلا أطاع وكنت فى نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما	أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أوانى للحنوط ونحها	عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله	شرفاً ألست تراهم بإزائه
لاتوه أعناق الرجال بحمله	يكفى الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع فى نفسى أنه أحق الناس بهذا الرثاء وأنه نعى نفسه فمات فى ذلك الأسبوع ، وقال الصوفى الذائق السيد محيى الدين بن أخى الأمير عبد القادر : وأحق الناس بهذا الرثاء أستاذى العارف الربانى أمير العلماء وعالم الأمراء سيدى الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى .

محمد عبد الوهاب فايد

إدارة البلديات العامة — مبطانيا

تطرح بلدية بورسعيد فى المزاد العام بيع مائة برميل صاج سعة البرميل ١٨٠ كيلو ملآى بزيت رجوع وقد تحددت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ لفتح العطاءات بديوان البلدية وتطلب الشروط والمواصفات من البلدية نظير ١٠٠ مليم للنسخة الواحده خلاف أجرة البريد . ٦٣٧٥

ذكر بالنشرة الأولى لهذا الاعلان بالعدد الماضى سعة البرميل ١٨ كيلو والصواب ١٨٠ كيلو